

القسم السادس

فرنسا في مراکش

بدأ الفرنسيون تنفيذ برنامجهم الإصلاحى على مراحل فى
مراكش ، فقد نقلت إلينا الأنباء البرقية طرفا من أخبارهم ؛ وهى
تتلخص فى بعض تغييرات إدارية ادخلوها ذرا للرماد فى العيون
فقالوا إن الوزارة ستألف من عشرة وزراء مراكشيين وعشرة
من الفرنسيين ، واختير مستشار فرنسى يبحث القوانين واللوائح قبل
عرضها على السلطان ، وصرح فرنسى مسئول بأن فرنسا تريد تحويل
مراكش إلى دولة ديمقراطية حديثة ، كما ترغب باخلاص فى زيادة
مسئولية المراكشيين فى حكم أنفسهم ، وهذه نواح جديدة
بالبحث والتأمل .

ولقد كنا أول من أذاع شيئا عن اجتماع الدار البيضاء الذى
حضره روزفلت وجيرو وديجول الفرنسيان ، وقلنا : إن أراضى
تونس والجزائر ومراكش كانت وديعة بيد الحلفاء ، وقد أعيدت

للسلطات الفرنسية بعد أن تعهد رجالها لرزفيلت أن تسير هذه
البتماع في ركب الحضارة نحو الحرية ، وتقرير المصير . وشيء من
هذا لم يحدث ولكن تحت ستار الإصلاحات الجديدة ، وتحويل
مراكش إلى دولة حديثة ، وزيادة مسئولية المراكشيين في حكم
أنفسهم - تقدم فرنسا للعالم المتمدين مشروعاً استعمارياً ؛ له خطورته
لأنه ضربة جديدة موجهة إلى استقلال مراكش ، وحريتها ومستقبلها
ولذلك لم نستغرب أن رفض الأحرار المراكشيون هذه السياسة
وندّدوا بها ، وقالوا عنها : أنها تريد أن تغتصب البقية الباقية من
مظاهر وجودهم ، ونحن الذين تابعوا قضية المغرب من يوم أنزل
الحلفاء جنودهم ، وأنصتوا طويلاً إلى أقوال قواد الحلفاء ، وبعض
رجال السياسة ، الذين تحدثوا عن مستقبل هاتيك البلاد ، وعرفوا
الكثير من تحمس رجال فرنسا ، وتمسكهم بوحدة امبراطوريتهم ،
ورفضهم الدخول في أى حديث يتصل بحرية واستقلال
شعوب المغرب .

لم تتردد في أن نجهر بالقول لإخواننا أهل المغرب^(١) أن الخطر
الذى يبدو لنا هو أن توفق فرنسا لاقتناع العالم أن سياسة الاتحاد
الفرنسى مشروع إنسانى ، يدعو إلى رفع مستوى الشعوب ، ويعد

(١) نهاية القسم الثانى .

تنفيذه تحقيقا لما وعدوا به روزفلت في اجتماع الدار البيضاء ، أو أنه مرحلة في طريق الرقي الاجتماعي .

ومراكش ليست دولة في مجاهل الدنيا حتى تدرب على حكم نفسها ، وقد عاصرت القرون ، وكانت امجادها وبطولاتها مضرب الأمثال ، فهي دولة مستقلة ذات سيادة وصولة وتاريخ وشخصية ، قبل أن تعرف فرنسا شيئا من ذلك . وهي أمة موحدة قبل أن تحقق فرنسا وحدتها الإقليمية في قارة أوروبا ، ولاخواننا المراكشيين جولات في افريقية ، وفي القارة الأوربية . وبين ملوك مراكش وملوك فرنسا مكاتبات ومعاهدات قديمة ، عامل فيها كل واحد الآخر معاملة الند للند .

لهذا كاه دهشنا من موقف فرنسا ورجالها بعد سنة ١٩١٢ وموقفها اليوم في سياسة المقيم العام ، التي يريد أن يفرضها على دولة قائمة ذات سيادة وشخصية دولية ، وكنا نؤمل أن تغير دروس الماضي بعد الحرب العالمية الأولى ثم بعد الحرب العالمية الثانية ، شيئا من أساليبهم وعقليتهم ، ومراكش بلاد لم تفتح وإنما تعاهد سلطانها معهم ، وحالفهم على شروط معلومة فإذا هم ينتزعون البلاد انتزاعا ويصبح المقيم العام سلطانا غير متوج له حكومة تجمع السلطات كلها بين يديه : من تنفيذ وتشريع وقضاء ، ويسيطر رجاله على الشؤون

المالية والاقتصادية والإنشائية ، ويضع يده على الحبوس والأوقاف وينتزع أملاك الدولة ، فيوزعها على المستعمرين من الفرنسيين .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ضربت فرنسا بالمواثيق والعهود ، التي أخذتها الدول عليها عرض الحائط ، فهي لم تحترم ما جاء باتفاق الجزيرة سنة ١٩٠٧ ولا ما جاء بالاتفاقات التي أعقبت حادث «أغدير» المشهور ، وكلها تنص على احترام سيادة سلطان مراکش ووحدة بلاده ، وبقائها بلادا مفتوحة لتجارة الدول ، وميدانا للنشاط العالمي . وقد رأينا الأسلوب الفرنسي في حكم البلاد التي نكبت به ينتزع السلطات جميعا من أيدي الحكام الوطنيين ، فتصبح الحكومة المراكشية التي يطلق عليها اسم (المخزن) صورة لا تملك من الأمر شيئا ، وإذا بدار المقيم العام ييدها السلطات الفعلية وهو يتولاها بواسطة مستشاريه ، على الطريقة الفرنسية المباشرة ، التي رأيناها في سورية ولبنان أيام الانتداب .

تصور هذه الدار تتولى الأمن العام ، والجمارك ، والضرائب وتدير الأوقاف تفتح المدارس ، وتخلق المكتاتيب ، ويدها التشريع والبرق والبريد وتسيطر على النقد ، ووسائل المواصلات ، وتمنح الأراضي لمن تشاء ، وتوزع الثروة على شركات الاحتكار والاستثمار

هذه هي مناطق القانون العام ، أى التى يسود فيها الحكم المدنى
أما المناطق العسكرية فهى تخضع لجبروت الجيش ، وضباطه
السياسيين . فهناك يجمع القائد الفرنسى كل السلطات فى يده ، ولا
مرد لحكمه . إذ تكفى إرادته لنزع الأملاك ، وتنفيذ حكم الاعدام
والسجن ، واخلاء قرى بأكملها من السكان ، ولا يمكن مراجعة
حكمه ، أو الاعتراض عليه ، أمام سلطة مدنية ، وأهالى البلاد من
المسلمين حيارى بين برائن الاستعمار الفرنسى فى مراکش أذهم فى حالة
حرب منذ عام ١٩١٢ لا يرتفع عن كاهلهم صوت الاحكام العرفية
ولا يشعرون بالراحة يوما ، تؤخذ أولادهم للحروب ، ويرسل
شبابهم الى المعتقلات والسجون

لقد آن للعالم المتمدين أن يفهم حقيقة الحال فى إفريقيا الشمالية
وحسنا فعل المجاهدون المراكشيون فى المبادرة إلى أمريكا، وتعريف
العالم بقضيتهم ، لأنها قضية عادلة ، فهم لن يقبلوا أن يدخلوا اتحادا
فرنسيا يفرض عليهم فرضا ، وقد شرحنا أساليبه ومراميه وأهدافه
ويؤكد سيطرة فرنسا وتدخلها فى شؤون بلادهم اجيالاً من الزمن
لاتزال فى عالم الغيب أو المستقبل .

إن كفاح أهل مرا كشر سيكون طويلاً وصعباً لا هوادة فيه ، لأن
بلادهم موطن الثروة المعدنية ، واليهما تتجه أنظار الاستعمار الفرنسى
للحصول على المواد الخام من البترول والفحم والحديد وهذا الاستعمار

يفرط كما قلنا- في ولايات من فرنسا في أوروبا ولا يتنازل عن شمال إفريقيا وهو يعلم تماما أن أى تساهل أو اعتراف من جانبه باستقلال ، أو حكم ذاتى يمنح لأهل البلاد المراكشية معناه : انهيار الامبراطورية الفرنسية بأكملها في إفريقيا الشمالية .

فعلى الذين يتصدرون الحركة الإستقلالية فى مراكش أن يفهموا أن العراق سيكون شديدا وقاسيا ، وعليهم أن يكتسبوا المعركة الخارجية ، وهى معركة الدعاية لقضيتهم فى امريكا ، وفى بقية انحاء العالم ، عليهم أن يظهروا مساوىء الاستعمار وأضاليه ، وأن يجعلوا الدعاية قائمة فى كل مكان ، وان تمتاز بالثبات والرسوخ والهدوء والمداومة .

ففى مصر لا يكفى شعور الناس بالعطف على قضيتهم ، بل يجب إبرازها كل يوم فى ثوب جديد على صفحات الجرائد والمجلات ، بل نريد أن نسمع رأيهم وصوتهم ونرى مناظر بلادهم ومساجدها وأسواقها ، ونقرأ لأدبائهم وزعمائهم كل يوم ونود أن نشاركهم أفراحهم وأيامهم ، ونسمع أغانيهم ونرتل شعرهم ، وتظهر على مطبوعاتهم صور معاهدهم ورجالهم ومظاهر الحياة عندهم .
إننا فى حاجة إلى أن نتعرف على أهل المغرب جميعا لأننا فى مصر نعد أنفسنا أقرب أهل المشرق إليهم .

لقد تلاقت النفوس قبل اليوم . وارتبطنا بهم يروابط لا تنفصم
عراها . إن في مصر أسراً بأكملها تنحدر من تلك الأصول العربية
التي جاءت من أرض المغرب .
إننا لا نطمئن نفوسنا قبل أن ينال المغرب استقلاله ويحصل
على حريته .